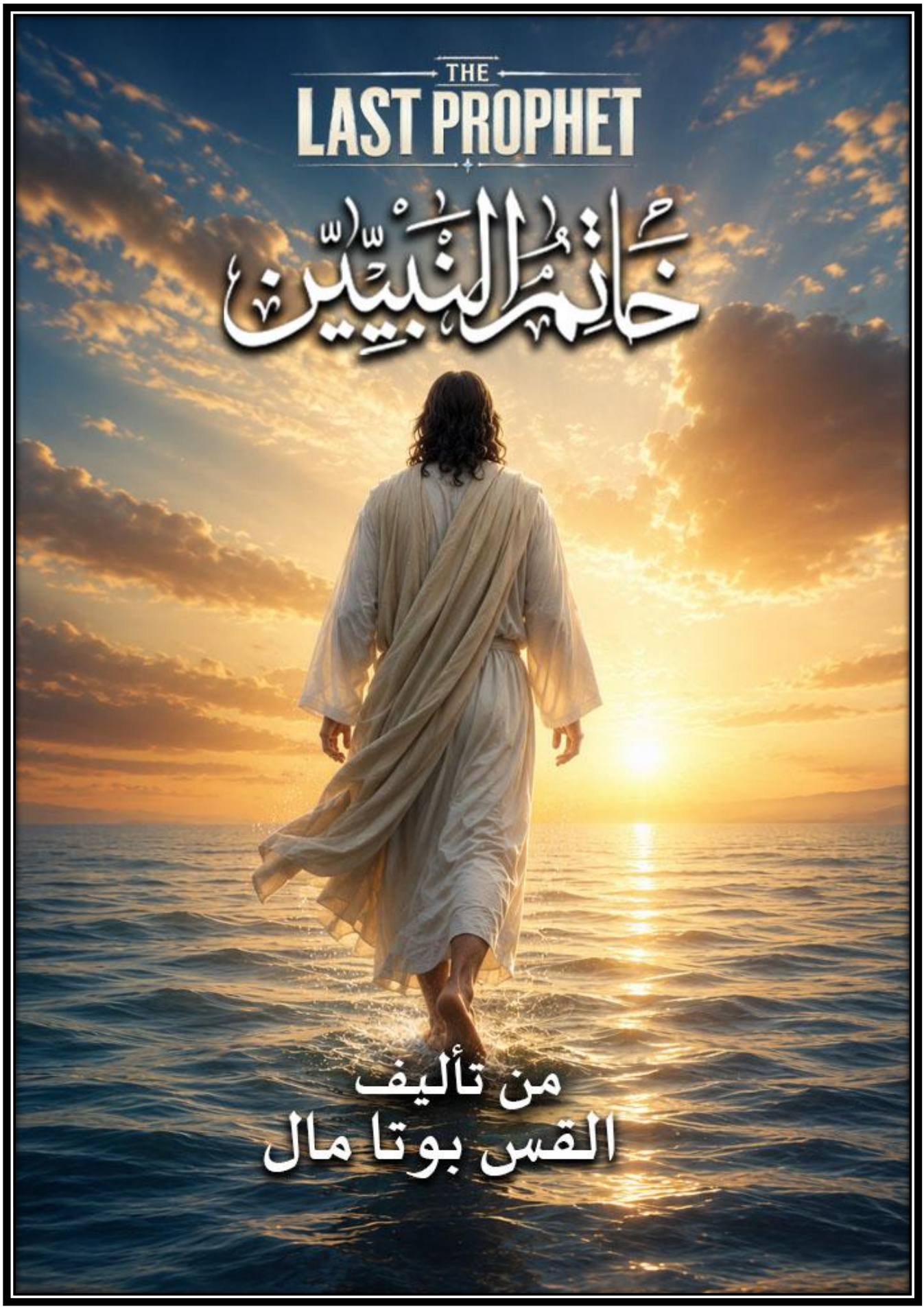
THE
LAST PROPHET
خاتم النبيين
من تأليف
القس بوتا مال

النبي الأخير

تنبأ جميع الأنبياء والتوراة إلى يوحن

(الإنجيل الشريف بحسب رواية متى ١١:١٣)

خاتم النبيين

من تأليف

القس بوتا مال

١٩٤٨

إعلان

كتيّب خاتم النبيين هو مؤلَّف جديد وسلاح مسيحي حديث. تمّت مناقشة قضية النبي الأخير بطريقة عقلانية بالاستناد إلى شروح واضحة من الكتاب المقدس. وقد روعي في هذا الكتيّب قدر الإمكان الذوق العلمي والتاريخي والديني للقراء. لقد اعتمدنا في بحثنا على الكتاب المقدس، والوقائع الصحيحة، والعقل. كُتب كتيّب خاتم النبيين بإخلاص ونية طيبة، وهو خالٍ تمامًا من أي تعصّب أو إساءة.

المُعلِن: القس بوتا مال
مبشّر بالإنجيل
تشكوال

التمهيد

الإنسان محتاج إلى الوحي، لأن العقل البشري من دون وحي إلهي عاجز وقاصر عن إدراك الأسرار والحقائق الإلهية. فالعقل عطية من الله وجوهر طبيعي، وهو في هذا المقام معين ومساعد للوحي، ولكن حين يتجاوز حدوده الطبيعية يصبح بلا هداية، ضعيفًا كطائر بلا جناحين أمام الأسرار السماوية.

الذات الإلهية واجبة الوجود لا حدّ لها ولا قياس، وحكمتها وعلمها عميقان جدًا، وقراراتها تفوق الإدراك، وطرقها خفية لا تُدرك رومية ١١: ٣٣–٣٦. أما الإنسان فهو مجرد مخلوق من صنع الله، يحتاج إلى الوحي ليعرف مشيئة الله وأعماق حكمته وأسراره.

ضمير الإنسان هو كوميض فجرٍ خافت من الوحي السماوي، كإشارة إلى طلوع شمس الحق، وهو ما يُسمّى بالشريعة الداخلية (رومية ٢: ١٤–١٥. هذا الضمير شهادة أولى على وجود الله، وإقرار بأن هذا الكون هو 8 عمل يديه وصنعته مزمور ١٩.

لكن بعد هذه الدرجة من المعرفة، تبقى الطبيعة وحدها كضوء الصباح الباكر، إعلانًا جزئيًا ومؤقتًا. أما نور الظهيرة الكامل فلا يُدرَك إلا في ضياء الوحي السماوي. فشهادة الضمير وحدها ومشاهدة الطبيعة لا تكفيان لمعرفة الحقائق الروحية؛ لأن الأمور الروحية لا تُفهم إلا بنورٍ روحي، كما يقول الكتاب: «الأمور الروحية تُحكَم فيها بالروحيات١ كورنثوس ٢: ١–١٦.

لذلك، بحسب سر الوحي الذي كان مخفيًا منذ الأزل، أعلنه الله لجميع الأمم بواسطة أنبيائه القديسين لكي يعرفوا تدبيره لخلاصهم رومية ١٦: ٢٥–٢٧.

وقد تمّ الإعلان الكامل لمشيئة الله من خلال سلسلة من الإعلانات الإلهية التي أعطاها تدريجيًا لبني آدم عن طريق الأنبياء الذين كانوا منذ بدء العالم (عبرانيين ١: ١–٢، أعمال الرسل ٣: ٢٠–٢١. وهؤلاء الأنبياء تكلموا بإلهام الروح القدس (٢ بطرس ١: ٢١، وتم تدوين كلماتهم تدريجيًا بلغة البشر حتى اكتمل الوحي في الأسفار المقدسة التي جُمعت وحُفظت بأمانة بين أيدي رجال الله الأمناء رومية ٣: ٢، ١ كورنثوس ٤: ١.

هذا المجموع من الوحي السماوي يُعرف باسم الكتاب المقدس، وهو يتألف من ٦٦ سفرًا كُتبت باللغتين العبرية واليونانية في أزمنة وأماكن مختلفة على أيدي نحو أربعين رجلًا من المختارين الموحى إليهم. وهذه الأسفار نافعة للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب الذي في البرّ ٢ تيموثاوس ٣: ١٦.
في هذا الكتيّب تمّ تناول موضوع بداية الوحي وتطوره ونهايته بأسلوب عقلي متزن، وتمّ التأكيد بوضوح أن منصب النبوة وحقّها قد أُعطي حصريًا لنسل إبراهيم خليل الله، أي لإسحاق ويعقوب وذريتهما.

فالوحي السماوي أُوكل إلى بني إسرائيل وحدهم، ومن هذه الأمة الموعودة كان من المقرر أن يظهر خاتم الأنبياء — وهو ربنا يسوع المسيح نفسه يوحنا ٦: ١٤؛ يوحنا ٤: ٢٥.

وقد ختم المسيح سلسلة النبوة والوحي بقوله على الصليب: «قد أُكمليوحنا ١٩: ٣٠. وبذلك تمّ قصد الله في ملء الأزمنة أن يجمع كل شيء في المسيح أفسس ١: ٩–١٠.

الباب الأول
سِلْسِلَةُ النُّبُوَّةِ

في الأزمنة السابقة، تكلّم الله مع الآباء بالأنبياء، جزءًا فجزءًا وبطرق مختلفة، وأمّا في هذه الأيام الأخيرة فقد كلّمنا في ابنه. عبرانيين ١: ١–٢. هذه السلسلة من الوحي السماوي بدأت مع بداية الإنسان، وهي قديمة قدم العهد الإلهي معه. والقول إن الكتاب المقدس كتاب حديث هو جهل عظيم، لأن وحي الكتاب المقدس يسبق عهد موسى بآلاف السنين. أعمال ٣: ٢٠. والكتاب نفسه يعلن أنه سر الله الأزلي، وقد بدأ وحيه مع خلق الإنسان الأول، وأن الذين نزل عليهم الوحي الإلهي في بدء العالم صاروا مرشدين لبني آدم وقادتهم الروحيين.

يتحدث ذلك العهد عن الحالة الأصلية للإنسان، وسقوطه، وسبب خطيئته ونتائجها، وعن تدبير الله المرحوم المؤقت ووسائل رحمته. كانت النبوة والإلهام في زمن آدم إلى نوح، وهو عهد الرموز والإشارات. ففي ذلك الزمن، وبسبب حداثة الإنسان وضعف إدراكه، أعلن الله الحقائق الإلهية في رموز وعلامات. كانت تلك المرحلة بمثابة الصف الأول من مدرسة الوحي الإلهي، وعدد طلابها قليل جدًا، ومن بين هؤلاء آدم وهابيل وأخنوخ ونوح.

بعد طوفان نوح بدأ عهد جديد من النبوة، ابتدأ من عائلة اختارها الله لنفسه، رأسها إبراهيم. فعندما تفرقت ذرية نوح بعد فشلهم في بناء برج بابل، وتبدلت لغاتهم وضلّوا عن إله نوح، بدأوا يعبدون عناصر المادة ومخلوقات الطبيعة بدل الخالق المبارك إلى الأبد. فتركهم الله ليسلكوا في طرقهم الخاصة. أعمال ١٤: ١٦.

جاءت دعوة إبراهيم في ظلمة ذلك العالم المتروك حين كان الناس يتحسسون طريقهم في الجهل، فصار إبراهيم مشعل نور في تلك الظلمة. قطع الله معه عهودًا عظيمة وجعله بركة لجميع الأمم. وفي عهده بدأت فريضة الختان. تكوين ١٧: ٩–١٤. أما عبادة الذبيحة فكانت منذ عهد نوح، انتقلت عبر نسل سام حتى وصلت إلى إبراهيم، فكان يبني مذابح ويعبد الله كلما نزل في مكان جديد.

الوعود التي أعطاها الله لإبراهيم ونسله لم تُنسَ قط، وكانوا ينتظرون إتمامها بشوقٍ عظيم. امتد هذا العهد النبوي نحو أربعمائة سنة، خلالها تكلّم الله مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجهًا لوجه، ومن وراء الحجاب وبواسطة الملائكة أيضًا. ومن بركة الوحي صاروا أغنياء بالمعرفة الإلهية حتى لم يسقط من كلامهم حرف واحد إلى الأرض. تكوين ١٢: ١–٤، تكوين ٢٧: ٢٩، تكوين ٤٧–٤٩.

في تلك الأربعمائة سنة لم تكن هناك شريعة مكتوبة سوى طقوس الختان والذبيحة. وفي أيام العبودية في مصر حُرم الشعب حتى من ممارسة الذبيحة بسبب الاضطهاد. خروج ٨: ٢٦. لم تكن لديهم كتب مقدسة بل فقط ذكرى الوعود الإلهية تنتقل شفهيًا جيلًا بعد جيل، وكانوا يذكرون اسم يهوه تقليدًا لآبائهم. يُسمّى هذا الجزء من النبوة زمن الوعود وصفوف التعليم الابتدائي في مدرسة الوحي الإلهي، ويتناول اختيار أسرة واحدة هي أسرة إبراهيم حتى وفاة يوسف.

بعد هذا بدأ عهد النبوة التشريعي المعروف بالعهد الموسوي، الذي بدأ بدعوة موسى وانتهى بالنبي ملاخي. نجا موسى بمعجزة من ظلم المصريين وأعدّه الله ليكون أداة خلاص أمته. قاد بني إسرائيل بأمانة أربعين سنة. واستمر هذا العهد نحو أحد عشر قرنًا، ولم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى. تثنية ٣٤: ١٠.

في هذا العهد أُعطيت الشريعة الكاملة على جبل سيناء بواسطة موسى، وسُمّيت شريعة موسى أو التوراة، ودُوّنت على ألواح حجرية ثم جُمعت في أسفار مكتوبة وسلمت إلى الكهنة واللاويين. تثنية ٣١: ٩، ٢٤–٢٦. خروج ١٧: ١٤، ٢٤: ٤–٧، ٣٤: ٢٧–٢٨. عدد ٣٣: ٢. تثنية ٢٨: ٦١. وأُمر الكهنة واللاويون أن يعلّموا الشعب هذه الشريعة. لاويين ١٠: ١١، تثنية ٣٤: ٩–١٣.

جميع الأنبياء بعد موسى وحتى ملاخي تنبأوا تحت ظلال شريعته وضمن إطارها. ملاخي ٤: ٤. ولم تُذكر أي شريعة أخرى خلال تلك القرون الأحد عشر؛ فكل شيء كان خاضعًا لشريعة موسى. ومع التوراة أُلحق كثير من الأسفار مثل المزامير وكتابات الأنبياء الأخرى ضمن قائمة الوحي الإلهي.

كان هذا العهد مليئًا بالأحداث والنبوءات والأنباء المستقبلية، وكان جميع المؤمنين ينظرون إلى الأمام بشوقٍ شديد نحو مجيء النبي الأخير الذي ينتظرونه ليل نهار رافعين أبصارهم إلى السماء. يوحنا ١: ١٩، ٢١، ٢٥، يوحنا ٦: ١٤. وحتى السامريون من غير اليهود كانوا يؤمنون بقرب مجيء النبي المنتظر. يوحنا ٤: ٢٥–٢٦.

يمثل هذا العهد مرحلة التعليم المتوسط في مدرسة الوحي السماوي حيث ازداد الإدراك الروحي والمعرفة بالخلاص، وكان المؤمنون يستعدون للصعود الروحي نحو الكمال الإلهي.

ثم جاء عصر النبوة الجديد وهو عهد الرسل في العهد الجديد، زمن ظهور النبي الأخير وأقواله وأفعاله. قبل هذا العهد كانت التوراة وجميع الأنبياء قد تنبأوا إلى يوحنا، وبعده بدأت بشارة ملكوت الله إذ قال يسوع: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل. مرقس ١: ١٥.

النبوة المسيحية هي قمة الوحي الإلهي وآخر مراحله كما ورد في عبرانيين ١: ٢، وهي كمال وخاتمة سلسلة الوحي القديم لأن الله تكلّم في المسيح نفسه. كما أن تلاميذه تكلموا بإلهام منه معلنين مشيئة الله للعالم. غلاطية ١: ١١–١٢، بطرس الثانية ١: ٢١. وفي النهاية ختم الرسل سلسلة الوحي بختمٍ نهائي كما جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢٢: ١٨–١٩، وتركوا المجال مفتوحًا لاختبار إيمان العالم حتى المجيء الثاني للمسيح. متى ٧: ١٥، متى ٢٤: ٢٤–٢٥، كورنثوس الثانية ١١: ١٣–١٥.هذا الجزء من النبوة هو عهد البشارة الإنجيلية وذروة الوحي السماوي حيث المعلّم الإلهي الكامل علّم ما أدهش علماء اليهود وجعلهم يعترفون أن كلام المسيح لا مثيل له ولا نظير، فهو ذروة الوحي ومكان نيل درجة الخلاص.

الباب الثاني
عُهْدَةُ النُّبُوَّةِ

النبوة والإلهام منصب إلهي عظيم، وهو من أسمى عطايا الله للبشر. قبل طوفان نوح نجد شخصين مميزين بهذا المنصب، وكلاهما سار مع الله. تكوين ٥: ٢٢، ٦: ٩. الأول هو حنوخ النبي، السابع من نسل آدم. يذكر الكتاب أن هذا الرجل عاش في شركة مع الله، وبعد ثلاثمائة سنة من خدمته النبوية اختفى من العالم. تكوين ٥: ٢٥. ويقول العهد الجديد إنه تنبأ عن مجيء النبي الأخير في مجد عظيم قائلاً: هوذا يأتي في ربوات قديسيه. يهوذا ١: ١٤.

الثاني هو نوح النبي، العاشر من نسل آدم، الذي دُعي من الله في زمن امتلأ بالشرور، فكرز مئة وعشرين سنة داعيًا الناس إلى التوبة، معلنًا غضب الله ورحمته في آنٍ واحد. صنع فلكًا بأمر الله فنجا هو وأهل بيته من الطوفان، وبقي حيًا بعده ثلاثمائة وخمسين سنة. والكتاب يذكر أن آخر نبوة له كانت بركته ونبوءته على أبنائه الثلاثة، وهي باقية إلى نهاية الدهر وختمٌ على صدق الكتاب الإلهي. تكوين ٩: ٢٥–٢٧.

بعد نوح انتقل منصب النبوة إلى إبراهيم من نسل سام، وكان عمره خمسًا وسبعين سنة حين دُعي من الله، وكان يعيش بين عبدة الأوثان في أور الكلدانيين. لا تُعرف تفاصيل كثيرة عن طفولته وشبابه، وما نُسب إليه من قصص لا يُعتمد عليه لأنها لا توافق الوحي الإلهي. أما ما ورد في الكتاب المقدس فهو المصدر الوحيد الموثوق به. تبدأ قصة إبراهيم وعائلته في سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر.

بقي إبراهيم بلا ولد حتى بلغ السادسة والثمانين، حين وُلد له إسماعيل من هاجر جارية سارة. كانت هذه الولادة بتدبير بشري لا بمشيئة الله، فسببت اضطرابًا وانقسامًا في بيته. وبأمر الله أُخرجت هاجر وابنها من بيته، لأن الابن الموعود إسحاق وُلد لسارة حين كان إبراهيم ابن مئة سنة وسارة ابنة تسعين سنة، فكانت ولادته معجزة إلهية. وأصبح إسحاق وريث كل ما لإبراهيم وخليفته في سلسلة النبوة. تكوين ١٧: ١٩–٢١، ٢١: ١٢.

امتحن الله إيمان إبراهيم حين طلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة محرقة، فنجح في الامتحان وبلغ الكمال في الإيمان. عاش مئة وخمسًا وسبعين سنة ثم مات مسلّمًا رتبة النبوة إلى ابنه الموعود إسحاق، وصارت النبوة ميراثًا أبديًا في نسله المختار. تكوين ٢٥: ٥–١١.

كان إسحاق رجلًا تقيًا واثقًا بوعود الله وسالكًا في طاعته كل أيام حياته، فجدد الله معه عهوده كما فعل مع أبيه إبراهيم وجعله بركة لجميع الأمم. تكوين ٢٦: ٣–٥، ٢٤–٢٥. بارك إسحاق ابنه يعقوب ومنحه حق البكورية الروحية، أما عيسو فأهمل البركة الروحية ففقد الميراث الإلهي، وأُقيم يعقوب مكانه نبيًا مختارًا.

رافق الله يعقوب طوال حياته وباركه وغيّر اسمه إلى إسرائيل وجعله أبًا لأمة عظيمة خرج منها الأنبياء. وقبل وفاته نطق بنبوات عن أبنائه تمت عبر الأجيال ولا تزال تتحقق إلى اليوم. تكوين ٤٩. عاش يعقوب في مصر غريبًا ومات عن عمر مئة وسبع وأربعين سنة مودعًا أولاده ومسلّمًا أمرهم إلى يوسف ابنه العزيز الذي حكم مصر حتى وفاته عن عمر مئة وعشر سنوات.

بعد موت يوسف عاش بنو إسرائيل قرونًا في مصر بلا وحي سماوي، واقعين تحت عبودية المصريين القاسية. لكن الله تذكرهم وأرسل موسى ليحررهم ويعيد إليهم عهد النبوة. دُعي موسى وهو ابن ثمانين سنة وتسلّم شريعة كاملة من الله على جبل سيناء ودوّنها بوحي الروح القدس، فسُمّيت التوراة، وهي أول مجموعة وحي مكتوبة تشمل تاريخ العالم منذ بدايته حتى وفاته.

كرّس موسى الأربعين سنة الأخيرة من حياته للشفاعة بين الله وشعبه، وقبل موته عيّن يشوع بن نون خلفًا له ووضع يديه عليه أمام الكاهن أليعازر وجماعة بني إسرائيل كما أمره الرب. عدد ٢٧: ١٩–٢٧. خدم يشوع في النبوة ستة وعشرين عامًا، وبعد أن قسّم أرض كنعان ووجّه آخر وصاياه للشعب مات عن عمر مئة وعشر سنوات. يشوع ٢٤: ٢٩.

من وفاة يشوع حتى ملاخي النبي مرّ نحو ألف عام تتابع فيها أنبياء كثيرون في إسرائيل ويهوذا، بعضهم معاصر لبعض، كلهم أوفياء لرسالتهم حاملين كلمة الله لشعبه. كتب بعضهم أسفارهم بوحيٍ إلهي أُدرجت ضمن الأسفار المقدسة، بينما دوّن آخرون التاريخ المقدس بإرشاد الروح القدس أيضًا.

من بين هؤلاء داود وسليمان اللذان جمعا بين النبوة والملك؛ مزامير داود وسفر الأمثال ونشيد الأنشاد وأمثال سليمان هي جواهر الحكمة الإلهية الأزلية. بعد ملاخي توقّف الوحي نحو أربعمائة سنة، وحُرم الشعب من نعمة النبوة بينما كانوا تحت حكم الفرس ثم اليونان فالرومان. ورغم الضيق ظلوا ينتظرون بلهفة ظهور النبي الأخير، رافعين أبصارهم نحو السماء متطلعين إلى الخلاص. لوقا ١٠: ٣٤.

وفي نهاية تلك المدة ظهر رجل في برية اليهودية ظنه البعض المسيح المنتظر لكنه قال عن نفسه إنه مرسل أمامه وصوت صارخ في البرية يعد طريق الرب بحسب النبوات المقدسة. كان هذا يوحنا بن زكريا الكاهن من نسل هارون، خاتمة العهد القديم ومقدمة العهد الجديد. قال المسيح عنه إن جميع الأنبياء والتوراة تنبأوا إلى يوحنا،

متى ١١: ١١–١٣، وإنه أعظم مواليد النساء لأنه هيأ شعبًا مستعدًا للنبي الأخير كما أعلن الملاك جبرائيل. لوقا ١: ١٦.

يوحنا كان شبيه إيليا النبي ومهيأ لإعداد الطريق أمام المسيح المنتظر، وشهد بأن يسوع هو المسيح والنبي الأخير، فقتله الحاكم الأدومي هيرودس. بعد موته تبع تلاميذه يسوع وآمنوا بشهادته وأقروا أنه هو المسيح الموعود والنبي الخاتم. يوحنا ٨: ٥٨، إشعياء ٦١: ١–٢، بطرس الأولى ١: ١٠–١١، تثنية ١٨: ١٥–١٩، يوحنا ٧: ١٦، ٨: ٢٨، ١٢: ٤٩، ١٤: ١٠–٢٤.

في المسيح ارتفع الحجاب الذي كان يغطي قلوب قارئي العهد القديم وانكشف الكمال النبوي فيه. كورنثوس الثانية ٣: ١٥–١٦، أفسس ٣: ١–٥. وبعد صعوده تكلّم رسله بوحي الروح القدس مقدمين كلامه للعالم كما فعل الأنبياء قديمًا. بطرس الثانية ١: ٢١. وكما تنبأ الأنبياء تحت ظل شريعة موسى كذلك تنبأ الرسل والمؤمنون الأوائل تحت كمال النبوة المسيحية التي بلغت تمامها في المسيح نفسه. أعمال الرسل ١١: ٢٧–٢٨، أفسس ٤: ١١، أعمال الرسل ١٣: ١–٢١، رومية ١٢: ٦، كورنثوس الأولى ١٤: ١.ومع موت الرسل القديسين انتهى عهد النبوة إلى الأبد وثُبّت الحكم الإلهي بأن الوحي قد اكتمل فلا نبي بعد ذلك. رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢٢: ١٨–١٩.

الباب الثالث

النُّبُوءَاتُ فِي حَقِّ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ

تحتوي التوراة وكتب الأنبياء على أخبار كثيرة عن النبي الأخير، ويحتاج شرحها الكامل إلى مجلد ضخم. بعض هذه الأخبار جاءت على شكل رموز وإشارات، مثل ذبيحة الفداء، وفلك نوح، والمنّ النازل في البرية، والماء الخارج من الصخرة، وحمل النصر، وعمود السحاب، والمنارة ذات السبع شُعب، والحية النحاسية، وكلها رموز ونُذر لحقيقة قادمة أعظم.

أما بعضها الآخر فجاء في شكل نبوات واضحة وصريحة في نصوص كلام الله تتحدث عن نسب النبي الأخير ومولده وأقواله وأعماله. وهي نبوات جلية لا تحتاج إلى تفسير إضافي. جميع الوعود التي أعطاها الله لآدم ونوح وإبراهيم ونسله مذكورة في التوراة وتشير بوضوح إلى المسيح المنتظر، النبي الأخير. تكوين ٣: ١٥، ٩: ٢٧، ١٢: ١–٣، ١٨: ١٢، ٢٦: ٤، ٢٨: ١٤، ٤٩: ١٠، ٢١: ١٢ وغيرها.

قال موسى عن النبي الأخير: سيقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي، ويجعل كلامه في فمه، ومن لا يسمع لكلام ذلك النبي يهلك. تثنية ١٨: ١٥–١٩. ومنذ موسى إلى يوحنا تنبأ جميع الأنبياء عن المسيح. متى ١١: ١٣. وكما تنبأ الأنبياء عنه كذلك تمّت تلك النبوات بدقة. لوقا ٢٤: ٢٧، ٤٤.

تنبأ ميخا النبي عن مكان ميلاد النبي الأخير قائلاً إنه سيولد في بيت لحم. ميخا ٥: ٢. وأعلن إشعياء عن ولادته العجيبة قائلاً إن العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل. إشعياء ٧: ١٤. ثم وصف كماله قائلاً: لأن ولدًا يولد لنا ونعطى ابنًا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام. إشعياء ٩: ٥–٦.

الولد يشير إلى إنسانيته، والابن يُعطى يشير إلى ألوهيته الأزلية. وقد تنبأ داود في المزامير عن آلام المسيح وأعماله كما تنبأ إشعياء وزكريا ودانيال أيضًا، وهذه النبوات لا تنطبق إلا على يسوع الناصري ابن مريم وحده. إشعياء ٥٣، مزمور ٢٢، دانيال ٩: ٢٤–٢٧، زكريا ١٣: ٧.

إشعياء هو المبشر الإنجيلي للعهد اليهودي لأنه قدّم المسيح الموعود كالفادي الذي مات لأجل خطايا البشر. كل تفاصيل حياة المسيح الموعود والنبي الأخير موجودة في كتب العهد القديم، وبعد قيامته فسّر يسوع لتلاميذه كل ما ورد في الكتب المقدسة وأظهر لهم أن كل الوحي كان يتحدث عنه. لوقا ٢٤: ٢٧، ٤٥، ٤٧.

قبل موته قال يسوع مرارًا لعلماء اليهود وتلاميذه إن موسى وجميع الأنبياء كتبوا عنه. يوحنا ٥: ٤٥–٤٦. وبعد صعوده شهد تلاميذه أمام العالم بأن جميع أسفار اليهود المقدسة تتحدث عن المسيح وحده. أعمال الرسل ٣: ٢٠–٢١، أعمال الرسل ١٠: ٤٢، بطرس الأولى ١: ٩–١١. فآمنوا به باعتباره النبي الأخير والمسيح الموعود. يوحنا ١: ٤٥.

حاول بعض علماء المسلمين أن يطبقوا هذه النبوات على محمد بن عبد الله، لكنهم فشلوا فشلاً ذريعًا في المناظرات العلمية أمام علماء المسيحية واليهودية لأن نصوص التوراة والأنبياء لا تحتوي على أي ذكر أو إشارة إليه. وقد ظنّ المسلمون خطأً أن قول المسيح "رئيس هذا العالم آتٍ" في يوحنا ١٤: ٣ يشير إلى محمد، لكنهم لما علموا أن المقصود هو الشيطان كما ورد في يوحنا ١٢: ٣١ صمتوا وانكشف زيف تأويلهم.

لقد أثبت البحث أن كتب اليهود والمسيحيين خالية تمامًا من أي ذكر لمحمد أو نبوءة عنه، لأن يسوع نفسه قبل ستة قرون من ظهوره أعلن أن كل ما في التوراة والأنبياء يتحدث عنه هو وحده، ثم حذّر قائلاً: احذروا من الأنبياء الكذبة. متى ٧: ١٥.

فمن يستطيع أن يناقض شهادة المسيح الصادق الأمين والشاهد الحق؟ رؤيا يوحنا اللاهوتي ١: ٥، ٣: ١٤، ١٩: ١١، ٢٢: ٦. وقد أكّد تلاميذه القديسون هذا الحق أمام رؤساء اليهود قائلين علنًا إن يسوع الناصري هو خاتم الأنبياء. أعمال الرسل ٣: ٢، أعمال الرسل ١٠: ٤٢، بطرس الأولى ١: ٩–١١.

لذلك نعلن بوضوح بعد بحثٍ دقيق أن التوراة والأنبياء والإنجيل المقدس لا تحتوي على أي بشارة بمجيء نبي بعد المسيح وتلاميذه. فبعد المسيح لا وجود لنبي صادق جديد لأن الوحي اكتمل فيه نهائيًا. ولهذا يقول الكتاب: امتحنوا كل شيء وتمسكوا بالحسن. تسالونيكي الأولى ٥: ٢١.

الباب الرابع
زَمَنُ ظُهُورِ نَبِيٍّ آخِرِ الزَّمَانِ

تتحدث التوراة وكتب الأنبياء بوضوح عن زمن ظهور النبي الأخير. أول نبوة عن هذا الموضوع وردت في سفر التكوين حيث قال يعقوب لابنه يهوذا: «لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشرّع من بين رجليه حتى يأتي شيلوه، وله يكون خضوع الشعوب». تكوين ٤٩: ١٠. كلمة شيلوه في العبرية هي أحد ألقاب المسيح الموعود، وجميع اليهود في كل العصور متفقون على أن هذه الآية تشير إلى مجيء المسيح المنتظر، الذي هو آخر أنبيائهم.

توضح النبوة أن ملك يهوذا سيزول قبل مجيء المسيح، وأنه حين يظهر النبي الأخير ستكون الأمة اليهودية خاضعة لأمم أخرى، ولن يبقى لها سوى سلطة اسمية. بدأت مملكة يهوذا في عهد داود، وانكسرت قوتها في السنة الثامنة لحكم نبوخذنصر ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد. استمرت المملكة نحو أربعمائة وخمسين عامًا ثم سقطت في السبي البابلي سبعين سنة، ولم تستعد مجدها بعد ذلك.

بعد العودة من السبي ظلت الأمة تحت حكم الفرس ثم اليونان ثم الرومان، ولم يكن لها سوى حكام صوريين يخضعون للأمم الأجنبية. وفي زمن ميلاد المسيح كانت البلاد تحت حكم قيصر الروم، وكان هيرودس الأدومي ملكًا شكليًا على اليهود، لا يؤمن بالله حقًا. وهكذا تمّت النبوة بأن ظهور النبي الأخير سيكون في أيام القياصرة الرومان، وقد حدث ذلك فعلاً بميلاد يسوع المسيح.

النبوة الثانية عن زمن الظهور وردت في حلم نبوخذنصر ملك بابل الذي فسّره دانيال النبي بوحي من الله. أعلن دانيال أن مملكة بابل ستسقط وتقوم بعدها مملكة فارس، ثم اليونان، ثم الرومان الذين سيبلغ سلطانهم ذروته كالشمس في كبد السماء، وفي أيامهم ستظهر مملكة الله التي ستحطم الممالك الأرضية وتبقى إلى الأبد. دانيال ٢: ٤٤–٤٥.

وقد أثبت التاريخ صدق هذه النبوة؛ فالممالك الأربع — بابل وفارس واليونان والروم — قامت واحدة تلو الأخرى وسقطت جميعها أمام مجيء المسيح وامتداد ملكوته الروحي في العالم. دانيال ٢: ٣٤–٣٥.

النبوة الثالثة عن الوقت المحدد لظهور النبي الأخير وردت في دانيال ٩: ٢٤–٢٧. حين كان دانيال يصلي معترفًا بخطايا شعبه طالبًا خلاصهم، أرسل الله إليه الملاك جبرائيل ليعلن له أن مجيء المسيح سيحدث بعد سبعين أسبوعًا رمزيًا أي أربعمائة وتسعين سنة، من صدور أمر إعادة بناء أورشليم إلى وقت موت المسيح الكفارية.

صدر أمر البناء سنة ٤٥٧ قبل الميلاد وتمّت صلب المسيح سنة ٣٤ بعد الميلاد، تمامًا كما حدّد الوحي. وهكذا كان ظهور خاتم الأنبياء في عهد القيصر أوغسطس حين وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية. لوقا ٢: ١–١١.

كما تنبأ حجي وزكريا وملاخي بأن زمن طلوع شمس البر قريب، وأن رسول العهد سيأتي إلى هيكل الرب فجأة، وأن إيليا سيعود مثيله ليهيئ الطريق أمامه وصوته سيسمع في البرية. إشعياء ٤٠: ١–٣، حجي ٢: ٧، ملاخي ٤: ٢–٥.

آخر نبوة في العهد القديم عن زمن الظهور وردت في ملاخي ٤: ٥–٦ حيث وعد الله بإرسال إيليا قبل مجيء يوم الرب العظيم. كان اليهود ينتظرون هذا الحدث بشوق عظيم بعد أن فرغوا من ترميم الهيكل واستعدوا لاستقبال رسول العهد. ملاخي ٣: ١.

لكن الله أوضح من خلال الملاك جبرائيل للكاهن زكريا أن إيليا سيأتي بروحه وقوته في شخص يوحنا بن زكريا ليهيئ الطريق للمسيح الموعود. لوقا ١: ١٧. وقد أكد يسوع بنفسه هذه الحقيقة قائلاً إن إيليا الذي كان مزمعًا أن يأتي قد جاء وهو يوحنا المعمدان. متى ١٧: ١١.

وفي مثل الكرّامين أوضح المسيح أن العبيد يمثلون أنبياء إسرائيل، أما الابن فهو النبي الأخير والمسيح الموعود نفسه. متى ٢١: ٣٣–٤١.

الذين رأوا معجزات المسيح وآمنوا به قالوا: «هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم». يوحنا ٦: ١٤، يوحنا ٧: ٤٠. حتى السامريون الذين كان اليهود يحتقرونهم قالوا له: «نحن نعلم أن المسيح يأتي، ومتى جاء يخبرنا بكل شيء»، فأجابهم يسوع: «أنا الذي أكلمك هو». يوحنا ٤: ٢٥–٢٦.

أما الحكماء القادمون من المشرق فقد علموا بولادته من خلال النجم الذي ظهر لهم فجاؤوا ليسجدوا له ويقدموا هداياهم. متى ٢: ١–١١.

رفضت الأمة اليهودية المسيح فاستُحق عليها القضاء الإلهي كما قيل في تثنية ١٨: ١٨–١٩، ودُمّر هيكلهم وأُبيدت مدينتهم سنة ٧٠ ميلادية على يد الرومان. وما زالت حالتهم المتدهورة وشوقهم العقيم إلى مجيء نبي آخر دليلًا واضحًا على أن نبيهم الأخير ومسيحهم الموعود هو يسوع ابن داود وحده.

الباب الخامس
الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ

يقول الكتاب: «شريعة الرب كاملة ترد النفس». مزمور ١٩: ٧.

هذه الشريعة أُعطيت بواسطة موسى، كما ورد في يوحنا ١: ١٧. وقد نزلت على جبل سيناء بوساطة الملائكة ومن خلال وسيط، كما ورد في خروج ٢٠ وأعمال الرسل ٧: ٥٣ وغلاطية ٣: ١٩. كان نزول الشريعة حدثًا مهيبًا للغاية، حتى ارتعد الشعب من المنظر وطلبوا من موسى أن يكلمهم هو دون أن يتكلم الله مباشرة معهم لئلا يموتوا. خروج ٢٠: ١٨–٢١، عبرانيين ١٢: ١٨–٢١.

الشريعة التي أُعطيت لموسى كانت شريعة كاملة، تُعبّر تعبيرًا تامًا عن مشيئة الله. وهي تتضمن الوصايا العشر التي تُختصر فيها الأخلاق الإلهية، وتطلب طاعة الإنسان الكاملة لله، وتؤكد ضرورة محبة الله ومحبة القريب. لاويين ١٩: ١٨، تثنية ٦: ٥، لوقا ١٠: ٢٧. هذه الشريعة واجبة التطبيق إلى نهاية الزمان، لأنها تفي بكل احتياجات الإنسان الروحية، وهي قانون مثالي لا مثيل له في تهذيب السلوك وإصلاح الحياة.

وجود هذه الشريعة يغني عن أي شريعة جديدة، فكل الأنبياء بعد موسى دعوا إلى حفظها والعمل بها وتنبأوا في ظلها ولخدمتها. وقد شهد داود بكمالها في المزامير. مزمور ١٩: ٧، ملاخي ٤: ٤. المزمور ١١٩ هو أطول أصحاح في الكتاب المقدس وفيه تمجيد متواصل لشريعة الله ومحاسنها. وفي ختام العهد القديم أوصى الله على لسان ملاخي قائلاً: «اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام». ملاخي ٤: ٤.

كانت هذه التوراة تُقرأ في المجامع اليهودية كل سبت. أعمال الرسل ١٣: ١٥. وأكّد المسيح نفسه صدق هذه الشريعة ووجوب العمل بها قائلاً إنه لم يأتِ لينقض الناموس أو الأنبياء بل ليكمل. متى ٥: ١٧–٢٠. قدّم المسيح التفسير الإلهي للشريعة في عظته على الجبل، مبيّنًا أن مخالفة الناموس لا تكون بالفعل فقط بل حتى في الفكر والنية. وبهذا كشف عن المقصد الروحي الكامل للشريعة.

وجود هذه الشريعة الكاملة يعني أنه لا حاجة لشريعة أخرى ولا لمشرّع جديد، لأن الذي أُعطيت بواسطته والذي صادق عليها هما واحد في المقصد الإلهي، والانحراف عنهما خطير جدًا. عبرانيين ١٠: ٢٨–٣١.

مع الشريعة الأخلاقية أُعطيت أيضًا شريعة طقسية وقومية لتنظيم العبادة والحياة الاجتماعية لبني إسرائيل. كانت الشريعة الطقسية بمثابة الغلاف الذي يحمي جوهر الدين، أما الشريعة الأخلاقية فهي قلب الدين وروحه. العلاقة بينهما كالعلاقة بين الجذر والأوراق في الشجرة: الجذر ثابت والأوراق تتبدل مع الفصول.
احتوت الشريعة الطقسية على كل نظم العبادة مثل الذبائح والأعياد والختان والتطهر، وكلها رموز مؤقتة تشير إلى الحقائق الأبدية التي تحققت في المسيح. عبرانيين ١٠: ١–١٢، كولوسي ٢: ١٦–١٧، عبرانيين ٩. وقد أوضح الله لموسى كل ما هو طاهر أو نجس، وما هو نافع أو ضار في العبادة الإلهية.

حتى في هذه الشريعة الرمزية لم يكن هناك نقص ولا حاجة لتعديل أو إضافة، لأن الدين الكتابي كامل في شكله الروحي والطقسي معًا.

أما الشريعة الثالثة فهي الشريعة القومية التي تنظم القضاء والإدارة وتضمن العدالة والنظام العام بين الحكام والشعب. فالجريمة والظلم والإلحاد تعتبر انتهاكًا لهيبة الشريعة الأخلاقية، لذلك جاءت الشريعة القومية لتوقيع العقوبة على المخالفين وردعهم عن الشرّ حتى يعيش الناس في خوف الله وعدالته. رومية ٢: ٢١–٢٤.

هذه الشريعة أيضًا كانت كاملة لا نقص فيها ولا حاجة لتبديلها أو لنبي جديد لتصحيحها، لأن مبادئها ما زالت قائمة في كل أنظمة الحكم العادلة إلى اليوم.

إذًا فالشريعة التي أُعطيت لموسى والتي أقرّها جميع الأنبياء وأكّدها المسيح هي شريعة كاملة غير متغيرة ولا تحتاج إلى بديل. الاستماع لأي صوت يدّعي خلاف ذلك هو إهانة لله ولأنبيائه.

تَتِمَّةٌ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالنَّبِيُّ الْأَخِيرُ

إن بني إسرائيل هم في المجال الروحي كمنارة عالية تشع نورًا للعالم، كما أن الشمس هي مركز النظام الشمسي الذي تستمد منه الكواكب نورها. كذلك كانت أمة إسرائيل مركز النور الإلهي ومصدر أشعة الوحي السماوي لجميع الأمم. إشعياء ٤٩: ١–٦.

أعطى الله أنبياء بني إسرائيل السلطان أن يغرسوا ويقلعوا، أن يهدموا ويبنوا، وأن يخلّصوا بحسب مشيئته. إرميا ١: ١٠، ٥٠.

بنو إسرائيل هم الأمة الموعودة المختارة. كل الوعود التي أعطاها الله لآبائهم أوفاها بأمانة. فعندما صاروا عبيدًا في يد فرعون، أخرجهم الله بذراعٍ قوية وأنقذهم من العبودية، وطرد من أمامهم الأمم الوثنية في أرض الموعد وجعلهم ورثة تلك الأرض إلى الأبد، وحارب عنهم بنفسه وأكرمهم بمواهب النبوة والوحي ورفعهم فوق سائر الشعوب.

أعظم إنجازات الدين والروحانية ارتبطت بهذه الأمة، ومنها خرج الأنبياء العظام: إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، يشوع، صموئيل، داود، سليمان، إيليا، دانيال وغيرهم. كما قال بولس الرسول: «لهم التبني والمجد والعهود والناموس والعبادة والمواعيد، ومنهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد». رومية ٩: ٤–٥.

إذن فالنبي الأخير كان من هذه الأمة جسديًا، وقد عُيّن ظهوره في سبط يهوذا من بيت داود بحسب المشورة الإلهية الأزلية. وتنبأ أنبياء إسرائيل عن ولادته العجيبة ومكان ميلاده وصفاته الإلهية. إشعياء ٧: ١٤، ميخا ٥: ٢، إشعياء ١١: ١–٩، إرميا ٢٣: ٥–٦، إشعياء ٩: ٢–٥.

في مثل الابن الضال شبّه المسيح بني إسرائيل بالابن الأكبر مبرزًا مكانتهم الخاصة عند الله. لوقا ١٥. وفي حديثه مع المرأة الكنعانية بيّن أن الأولوية في البنوة الروحية كانت لليهود قائلاً: «لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»، مما رفع شأنهم فوق سائر الأمم. متى ١٥: ٢٥–٢٧.

ورغم ما أصابهم من تشتت وانكسار اليوم، فإن غيرتهم الصهيونية وإيمانهم بعودة مجدهم تبقى مثيرة للإعجاب. فهم يؤمنون بأنهم سيعودون إلى أرض الموعد ويقيمون فيها ملكوتًا دائمًا على عرش داود في أورشليم، وأن المسيح ابن داود سيكون ملكًا عليهم إلى الأبد. هوشع ٣: ٤، إشعياء ٩: ٧، دانيال ٧: ١٤.

يصبرون على آلامهم واضطهاداتهم لأن رجاءهم في الخلاص لم ينطفئ بعد. وسيأتي اليوم الذي يتوبون فيه عن قساوة قلوبهم، وبعد اكتمال زمان الأمم سيخلصون جميعًا عند المجيء الثاني للنبي الأخير يسوع المسيح، حين يرون مجده المفقود يعود إليهم فيفرحون وتهلل قلوبهم.

كما هو مكتوب: «ويأتي الفادي من صهيون ويرد الفجور عن يعقوب». إشعياء ٥٩: ٢٠–٢١، رومية ١١: ٢٥–٢٦.

تمّ بالخي

القس بوتا مال مبشر الإنجيل (الراحل)